



السير وولتر سكوت

ان الذى يعنينا من حياة السير وولتر سكوت شيئان : الاول اثر الدرس المنظم فى العقل الموهوب ، والثانى البطولة الادبية الممتازة ، والانتاج الهائل الذى أنتجه وولتر سكوت ولم يكن له نظير غير أنتونى ترللوب ، وستان بين الاثنين فى العمق والعبقريّة



السير وولتر سكوت

ولد وولتر سكوت فى أغسطس سنة ١٧٧١ م . من عائلة عريقة فى المجد ، يمتد نسبها الى أمراء اسكوتلاندة وأبطالها ، وكان ابوه محامياً وأمه ابنة طبيب كبير .
وقد أصيب وولتر بالعرج فى سن الطفولة ولازمه العرج طول حياته ، وفى هذا شبه بينه وبين بيرون . وقد قضى جزءاً كبيراً من طفولته فى قصر جده ، وفى هذا

القصر المحاط بجلال الطبيعة وأدوع صورها تشربت نفس الطفل بما ظهر بعد في
الاديب الخالد !

دخل مدرسة ادنبرة العالية ، فتميز بين أقرانه بعلمه المفرط الى الادب والشعر
وقراءته الواسعة في غير الدروس ، وغرامه بالتاريخ وبخاصة بتاريخ اسكوتلاندة
وآثارها ، ومهارته في بحث الاوراق القديمة الخاصة بتلك الآثار . ومما
يذكر له على سبيل المثل انه في الخامسة عشرة حضر الشاعر بيرنز الى
ادنبرة واحتفى به اعلام الادباء فيها ، فأعجب الشاعر بيرنز ببيتين من الشعر قرأهما
تحت صورة ، ولم يدر مصدرهما في ذلك الجلع من الادباء والاعلام غير سكوت .
وفي جامعة ادنبرة درس المحاماة وتخرج محامياً ، واشتغل في مكتب أبيه ، ولكن
ميله الى الادب كان أقوى من ميله الى المحاماة ، وما كان أشد فرحه عند ما عُين في
سنة ١٧٩٩ م . عمدة لبلدة سلكركشير ، وأعطى مرتب ٣٠٠ جنيه في العام ، فتم له
بذلك ما يريد من الفراغ ومن الانكباب على الادب والشعر . ولم يكن درسه للادب
والشعر والتاريخ درس لهو واستمتاع ، شأن غيره من الشباب ، ولكنه كان درساً
منظماً عميقاً جافاً ، وكان بحثاً مستفيضاً قوياً ، وكان كلما آنس باباً للاستزادة طريقه ،
فانه أعجب بالادب الألماني فدرسه ، وترجم أغاني بورجر ، وما لبث أن
تزوج بسيدة غنية ، وجمع أغانيه في سنة ١٨٠٢ م . ثم طبعها .

وسكن بعد ذلك بلدة اشستيل على نهر التويد ، ومرت حياته إذ ذاك على وتيرة
واحدة : يستيقظ من الساعة الخامسة صباحاً ، ويوقد ناره بيده ثم يخرج ليري
خيله وكلابه ، ثم يعود فيكتب حتى الفطور ، ويعاود الكتابة بعد الفطور ، ثم يمضي
الى تأدية أعماله اليومية حوالى الظهر .

وفي سنة ١٨٠٥ م . كتب قصيدة « السيد الأخير » فرفعه الى الصف الاول من شعراء
الانكليز ، وإتبعها بأخرى في نفس العظمة والجلال ، كارديون ، وسيدة البحيرة ،
وقد صادف نجاحاً هائلاً كان نفسه لا يتوقعها . وانهمر عليه المال فاشتري ضيعة
كارتلي ، وبنى فيها قصراً كقصور ألف ليلة وليلة ، على جانب النهر .

وكان قد كتب قصة وافرلى منذ سنين ، ولكنه أطلع صديقاً عليها فلم يرض
عنها ، ولم ينصحها بالاستمرار فيها ، فتركها جانباً ، وأخذ ينشر أعمال غيره كدريدن
وسوفيت ، ثم خطر له أخيراً أن يعاود وافرلى ، وكان قد اشترك في عمل مطبعي
تجاري هائل كلفه مالا طائلاً ، ولم يكن سكوت بكل ثروته وانتاجه الوافر كفى

لذلك الاسراف ، وكان مدير الشركة صديقاً له دالة عليه . فكان يذهب الى الرجل الطيب فيأخذ قسطاً بعد قسط فيعطيه ، ولكنه فرغ صبره ذات يوم وصاح بصاحبه : « ناشدتك الله ألا مااملنتي كالسان لا كبقرة حلوب ا » وكانت حالة الشركة تمضي من سيء الى أسوأ ، وتكدست فيها الكتب التي لا تباع . فأخذ سكوت يكتب قصة وافرنى وكان يكتبها بدون ان يضع اسمه عليها ، فلقيت نجاحاً لا نظير له ، وقام العالم يتساءل عن « العظيم المجهول » ! والمدهش انه كان يبدأ القصة وينتهي منها في أربعة أسابيع خلاف ما كان يجرده من مقالات وقصص صغيرة وأشعار ، والمدهش أيضاً أنه اتخذ الحيلة الكاملة حتى لا يُعرف أنه مؤلف وافرنى . وكان القصر مفتوحاً للضيوف والاصدقاء ، ولم يكن يخطر ببال أحد ان هذا السيد الذي يجد وقتاً لا كرام ضيوفه والتنادر معهم ، هو نفس العظيم المجهول الذي ينتج ذلك الانتاج الضخم المنقطع النظير . وتمَّ المجد والشهرة له . وكان يشعر انه عثر على منجم ذهب ، فاندفع في البذخ ، يبنى ويزين ويشترى ، ومدير الشركة يكتم عنه الافلاس المحدث به والكارثة المقبلة ، وأخيراً وقعت الواقعة وعلم سكوت ذات يوم انه لم يفلس فقط ، بل ان عليه ديناً يبلغ ١١٧ و ٠٠٠ جنيه ا وهنا البطولة الممتازة والشهامة الخارقة ، فانه أبى ان يعطف عليه دائئوه ، ولكنه طلب مهلة فقط ، وأخذ يؤلف ويكتب ، ليستد ذلك الدين العظيم وحده بلا مساعد ! ولكن ذلك الجهد الجبار كان فوق ما تحتمل الصحة وما تقوم به العافية ، فأخذت أعراض الضعف والوهن تبدو عليه ، ولم يكن يبالي ويقول إنه لن يمتنع عن العمل حتى يموت !

واخيراً ذلك الجبل ، فقد أصابته نوبة شلل في غرفته وهو يكتب ، فعولج منها ولكنه لم يعد يوماً ما وولتر سكوت القديم . نعم كتب وألف كثيراً بعد إصابته بالشلل ، ولكنها اعمال عليها أثر السقم والانهلال .

وسافر الى ايطاليا وغيرها يستشفى . وعاد معافى قليلا ، فاستأنف اعماله ، ولكنه ما كاد يمسك القلم حتى هوى من يده ، فبكى بكاء صهراً . وأخيراً ماودته نوبة أخرى فمات بين أهله وذويه وكلايه .

مات وقد ترك تراثاً هائلاً خالداً . وبكته اسكوت لاندة التي مجدها وفتن الناس بحسنها وعظيم آثارها وبطولة أبنائها ، وبكاه العالم الذي قرأ وافرنى بين الاعجاب والدهفة .

وماذا يجروا منتقدوه أن يقولوا ؟ قالوا هو غير فنان ، وأنه رجل تاريخ يقصّ قصة اعتيادية يجيد حبكها . أين هو من جين أوستن التي تكتب فتبدع في الوصف الدقيق والتحليل العجيب ؟

وان ردنا على ناقديه هو أنه كان يخلق لك المدينة العظيمة بناسها وشوارعها وقصورها واسواقها ، وينزلك للطواف فيها : فامامك المدينة التي تضح ضجيجا وتزدحم بمختلف الاشياء ، فإذا لم ترقك وانت عند بابها تسمع ضجة الزحام فليس الذنب ذنب سكوت ولا المدينة ولكن ذنبك أنت لانك لم تتغلغل في أحشائها لتعثر على الجميل الممتع والبديع الساحر !

نحية واجلالاً لولتر سكوت وشعره الدافق الجميل ، ورواياته القوية ، وأدبه الخالد

ابراهيم ناجي



جون كيتس

(١٧٩٥ - ١٨٢١ م)

بقلم الأنسة إقبال بددان

بكلية الحقوق — بالجامعة المصرية

وُلد كيتس والقرن الثامن عشر يحتضر ومات في أوائل القرن التاسع عشر ، فلم ينعم بالوجود في هذه الدنيا ومضى في زهرة الشباب وفي ربيع العمر في منتصف العقد الثالث . وحكاية حياته في حد ذاتها قصة مؤلة وفاجعة شديدة ، والذي يعجب له المرء أن يخلف هذا الشاب الصغير أعمالاً خالدة وضعته في مرتبة العباقرة من الشعراء العالمين .

كان كيتس على تقيض « بيرون » و « وردسورث » و « شيلي » و « كوليردج » لا يعنى بالمسائل الانسانية الهامة من الحرية والمساواة والاخاء ، تلك التي أثيرت عقب ظهور الثورة الفرنسية ، لأنه كان قد وهب شاعريته وقلبه للجمال ، فراح يتغنى به في كل قصائده ، وينغمده في كل المواطن . وله كلمة خالدة في الجمال نقلها في هذه الذكرى ، وهي :

« الجمال هو الحق ، والحق هو الجمال — هذا هو كل ما نعرفه على الأرض وكل ما نحتاج الى معرفته . »

فلا بدع ولا غرابة إذا قلنا إن مقصد كيتس من الحياة كان يتلخص في كلمة واحدة هي « الجمال » : فإذا قرأت له شيئاً ، وجدت كيف يذهب بعيداً عن أهل زمانه ويختل بنفسه يتحدث إلى أشباح الناس الذين مضت على موتهم دهور سحيقة فيخرج لك من آلهة الاغريق وابطالهم صوراً ومواضيع رائعة الجمال ...

وقد كان يمتدح شعراء عصر أليصابات وعلى الأخص « سبنسر » ، ثم أحبا فن العصور الوسطى الرومانطيقى ، كما أكثر من تقليد اليونان .

واطول قصائده « انديميون » تقص علينا في أسلوب حديث حكاية غرام ديانا والفتى انديميون القديمة . ويظهر أحياءه فن القرون الوسطى جلياً في قصيدته ايزابيلا ، حواء سنت ايمجز ، وهذا الضرب من الشعر وجه العقول والافكار توجيهاً جديداً . وتبعه في ذلك الفن « تينيسون » و « روزيتي » ولكنه ظل البارز المتفوق في ذلك المضمار .

وشعره الغنائى هو بلا شك أجمل ما فى اللغة الانجليزية ، ويكفى المرء أن يقرأ « أنشودة الى العنديل » أو « إلى الخريف » فيعرف كيف بلغ كيتس القمة في هذا الضرب من الشعر ، إذ لا جدال أنه كان من أبرع الشعراء فى رسم الصور الذهنية وجعل الكلمات المجردة ذات قوة روحية غريبة .

يكفى المرء أن يقول إنه كتب سحراً لا شعراً ، وأنه لم يكن شاعراً خصب ، وهو فى الحقيقة يعدّ مقياساً للذوق الشعرى لدى كل انسان : فمن فهم كيتس وقدره قدّره فقد فهم الشعر وقدره ...

مات هذا الشاعر الخالد فى روما الخالدة التى راح يتنقى بها كثيراً . مات قبل الأوان فى سن الخامسة والعشرين ، ولا يعلم سوى الله ماذا كان يحدث لو مدّ له الأجل ، ورغم هذا فقد خلد اسمه فى النابغين وهو كما يقول أرنولد عنه « مع شكسبير » .

كتبته هذه الاثارة منوّهة بعقريه يلمسها كل من قرأ الشعر الانجليزى ، فان كنت أطمع فى شىء جديد فانما هو رغبتى الى المختصين من أدباء العربية الذين درسوا الشاعر أن يعملوا على نقل أشعاره الخالدة إلى لغة الضاد .